رأيتَ نظامًا فيهِ مادَّة سحابيَّة واجزاء كثيفة مجتمعة فيها ينطبق شكلها على ما ارتآهُ العلماء من اصل الشمس والسيارات فنرى في تلك الصورة نظامًا آخذًا في التكوُّن كما تكوَّن نظامنا الشمسي ولكنهُ اكبر من نظامنا بما لا يقدَّر

واذا نظرت الى الصور الفوتوغرافية التي صوِّرت بها الثريَّا رأيت انها ليست نجومًا مجتمعة اعتسافًا كما تظهر بالعين بل في سديم سحابي تكاثفت بعض اجزائهِ فظهرت منيرة كالشموس وكذا السديم الذي في صورة الجبار فان سحابهُ ونجومهُ من مادَّة واحدة بعضها لطيف و بعضها كثيف

وقد اقتسم علماء الفلك قبة السماء ليصوِّر كلُّ فريق منهم القسم الذي يختصهُ بالفوتوغرافيا ثم يجمعوا الصور و يصنعوا منها اطلسًا مدققًا تصوَّر فيهِ النجوم حتَّى اخفاها اي ما يُعدُّ من القدر السادس عشر مع اننا لا نرى بالعين وراء القدر السادس

وقد اتفق السبكترسكوب والفوتوغرافيا على اظهار كثير من غوامض الثوابت فابانا حركاتها واقترابها منا وابتعادها عنا . مثال ذلك الشعرى اليمانية فانها بعيدة عنا بعدًا شاسعًا حتَّى ان النور الصادر منها لا يصل الينا الاَّ بعد صدورهِ منها بست عشرة سنة وستة اشهر فلو تلاشت الشعرى الآن من الوجود لبقينا نراها ١٦ سنة ونصف سنة بعد ملاشاتها . ومع هذا البعد الشاسع نجد بالسبكترسكوب انها آخذة في الاقتراب منا وسرعة اقترابها نحو سبعة اميال كل ثانية فاذا ظلت تقترب على هذه الصورة وصلت الى الارض في نحو عشرين مليون سنة . وسيأتي الكلام على بقيَّة المشاهد

الصدق

الفيلسوف هربرت سبنسر

[ترجمنا هذا الفصل بقليل من التصرُّف لكي يرى كتَّابنا كيف يبحث فلاسفة العصر في المسائل الادبيَّة بحثًا علميًّا فلسفيًّا فلا يعتمدون على الحدود والتعاريف والاستشهاد باقوال الشعراء بل يعوِّلون على الاحصاء والاستقراء ثم يبنون احكامهم عليهما]

الصدق المحض من اندر الفضائل والذين يحسبون انهم صادقون تمامًا لا يمضي يوم الاَّ ويرتكبون الافراط او التفريط في اقوالهم فان المبالغة تكاد تكون شائعة والدأب على استعمال كلمة " جدًّا " حيث لا داعي اليها يدل على رسوخ عادة التمويه وشيوعها مع ان الموهين

قد يكونون من اكبر ادعياء الصدق فتراهم يحثون عليهِ ثم يقولون اقوالاً يستعملون فيها المبالغة والاطناب حيث لا داعي اليها ويصوّرون ذلك صوراً منطبقة على الحقيقة في شكلها وبعيدة عنها في لونها وبرقشتها

وليس من غرضنا الآن ان نتكلم عن الاقوال والاحكام المخالفة للحقيقة بل عما كان منها مناقضاً للحقيقة ولاسيما فيما اذا كانت هذه المناقضة مبنيّة على مصلحة شخصيّة كالإضرار بالغير او استجلاب النفع او للنجاة من قصاص او مضرّة او مظلمة او للتزلف الى شخص والانتفاع منهُ لان محبة الصدق لذاتهِ من غير التفات الى النتائج امر نادر

وهاك بعض الامثلة التي تدل على تمكن الكذب من بعض الشعوب والصدق من البعض الآخر

ان الذين ساحوا بين الشعوب المتبدية التي تعيش بالحرب والغزو يشهدون ان الكذب شائع بينها كما هو شائع بين الخاضعين للولاة المستبدين. قال برش عن هنود دكونا "انهم مثل غيرهم من المتوحشين لا يقولون الصدق مطلقاً". وقال غرفث عن قبائل المشمس "ان الصدق قليل القيمة عندهم حتّى لا يقدر الانسان ان يثق كثيراً بما يقولون". ويقال عن اهالي اواسط اسيا ان الصدق آلة بيد القوي ومَن يحكم باللين قلما يُكرَم. وقال وليمس عن الفيجيين "إن الميل الى الكذب شديد فيهم حتّى انهم لا ينكرونهُ وقد مهروا في الكذب لانهم يعولون عليهِ كثيراً في إخفاء مقاصد الرؤساء ودسائسهم فان للكذوب الماهر قيمة كبيرة عند الرئيس منهم. والصدق في لغة الفيجيين مرادف للكذب". ومثل ذلك اهالي اوغندا فقد قيل "ان الصدق محتقر عندهم كما هو محتقر عند سائر المتوحشين ولا يحسبونهُ خطأ والكذاب الماهر في الكذب معدود من النوابغ الذين يحققون ان يُعجَب بهم"

وكان اهالي اواسط اميركا كذلك فقد قال ده لايت عن قوم منهم خاضعين لحكومة استبداديّة دمويّة انهم كذبة مثل سائر الهنود. ومثلهم الهنود الحاليون الذين حافظوا على اخلاق اسلافهم فقد قال دنلوب عنهم "انني لم اجد في اواسط اميركا احداً من الوطنيين يسلّم ان الكذب رذيلة. واذا نجح احدهم في خديعة غيرهِ قال الاهلون عنهُ انهُ رجل ماهر مهما كانت الواسطة التي استعملها قبيحة". وبشبه ذلك ما قالهُ نورمَن عن اهالي جزائر فيليبين فقد قال انهم لا يعتبرون الكذب خطيئة بل حيلة محللة

واذا تصفحنا كتب الامم القديمة رأينا انهُ لم يكن للصدق عندهم منزلة كبيرة فقد وصف هوميروس الآلهة في الالياد بانهم يخدعون الناس ويخدع بعضهم بعضاً وان الرؤساء "لا يجبون

عن كل نوع من الكذب" . وقال ان الهة الحكمة (بلاس اثينا) كانت تحب عولوس لانهُ خدّاع . وقد قيل عن الكريتيين انهم "دائمًا كذّابون" ولكنهم لم يمتازوا بذلك على غيرهم من اليونان امتيازًا جوهريًا . ووصف مهافي اليونان في العصور الخالية وقال ان داريوس المادي حسب ان اليوناني الذي يصدق بكلامهِ نادرة من النوادر

و يظهر من تاريخ اوربا ان عدم الاحتفال بالصدق كان شائعًا في ايام الحروب التي فشت فيها في عصر الدولة الاولى من دول فرنسا (العصر المروفنجي) عصر سفك الدماء فقد كان الولاة يقسمون الايمان المعظمة ويديهم على المذابح ثم يحنثون باقسامهم حتّى قال سلفيان" انهُ اذا حنث الفرنجي فلا عجب لانهُ لا يحسب الحنث ذنبًا بل صورة من صور الكلام"

ثم توالت الحروب في اوربا الى القرن العاشر فانتشر فيها الغش والخداع حتّى امّحت اصول الفضائل من النفس كما قال مرتن ولما استتب الملك للملوك فرنسا بقي الامراء والاشراف مظهرًا للخيانة ولم يكونوا يحفلون بالصدق ولا بالامانة ولا بالشهامة ولم يكونوا يؤتمنون على الحياة ولا على العرض . وحتّى الآن نجد يونًا شاسعًا بين اهالي اوربا في انحائها الشرقيّة والغربيّة اي ان اكثرهم حروبًا اكثرهم كذبًا وخداعًا

الاّ اننا اذا امعنّا النظر لم نجد التكلم بالكذب نتيجة لازمة عن الحرب وسفك الدماء ولا ان الصدق نتيجة السلم والدعة . نعم ان السلم ولين الجانب يسهّلان الصدق والحرب والعداوة تسهلان الكذب . وستظهر علاقة كل حالة من هاتين الحالتين باحوال الانسان بعد ان نذكر الامثلة التالية

ان امّا كثيرة طردها الغزاة من مواطنها الى مواطن حقيرة لا يطمع فيها وتركت هناك متمتعة بالراحة التامة او غير مضطرة لتخلص مع جيرانها فنمت فيها الفضائل ولم تضطر ان تبدلها بالرذائل . قال مورس عن قبائل الكولا الذين يسكنون بلادًا ملارية فصارت الحمّى مرضًا مزمنًا فيهم " انهم مشهورون بالصدق وهم في ذلك قدوة للمتمدنين سكان السهول" . وقال شورت عن اهالي الجبال التي في الهند الجنوبيّة " انهم لا يعرفون الكذب ولم يبلغوا من الحضارة مبلغًا يمكنهم من اختراعهِ"

وقد رأيت آخرين ينسبون عدم اعتياد الكذب الى البلاهة وهو امرٌ لا يمكن اثباتهُ لاسيما وان الاطفال والحيوانات تكذب بافعالها كما يكذب البالغون والناطقون باقوالهم

وقال فورست في اهالي اواسط الهند الجبليّة الاصليين انهم صادقون وقلما ينكر احد منهم مالاً اقترضهُ من آخر او جريمة ارتكبها . وقال سنكلر ان قبائل الراموسي (من

قبائل الهند) كذابون كاكثر الشعوب المتمدنة بخلاف القبائل الساكنة الجبال فقد اخبرني احد البراهمة " انهم لبلاهتهم يصدقون دائمًا بلا موجب " . وقد روي ذلك ايضًا عن كثيرين من سكان جبال الهند وحراج سيلان وشمالي اسيا كالاوزبتاك والساموييد المتمازين بالصدق والاستقامة

ومن الغريب ان الصدق مرعيٌّ ايضًا عند الشعوب العائشة بالحرب وسفك الدماء كما هو مرعي عند بعض الشعوب العائشة بالسلم والطمأنينة فالهوتنتوت كثيرو الحروب مع جيرانهم ولكنهم لا يكذبون ولا يخلفون وعدًا كما قال برُو وكابن . وقال مورغان عن الاروكواز (من هنود اميركا) " ان محبة الصدق من مزاياهم " ولكنهم في حرب دائمة مع جيرانهم . واهالي بتاغونيا كثيرو الحروب بعضهم مع بعض ومع الاسبانيين الذين اجتاحوا بلادهم ولكن قال فيهم سنوانهم يشتهرون من الكذب اشد الاشمئزاز . وقبائل الهند الذين يعتقدون ان الصدق من اقدس الفرائض التي فرضتها الآلهة على الناس عائشون بالحرب مع جيرانهم . وقيل عن قبائل الكولي سكان جبل دخان انهم ذوو شهامة وبساطة وصدق ولكنهم لصوص قساة

فما هو الجامع بين الشعوب المتصفة بالصدق والدعة والشعوب المتصفة بالصدق والحرب — هو عدم الخضوع في الحالين للقهر والاستبداد . فالهوتنتوت المشار اليهم آنفًا حكومتهم شوروية وحكّامهم منهم وحكمهم باكثرية الاصوات . وسلطة رؤسائهم قليلة جدًّا . وعند الاروكواز مجلس شورى فيهِ خمسون عضوًا ينتخبهم الاهلون و يعزلونهم حينما يشاؤون واذا اجتمعوا لغزو قدّموا عليهم اشدهم بسالةً . وحكومة البتاغونيين ضعيفة فيخضع الاهلون لرؤسائهم او يهجرونهم حسبما يشاؤون . وكذا حكومة الخُند فان الاهلين متساوون ولا سلطة لرؤسائهم الاّ ما يخولهم اياهُ مقامهم الادبي . والقهر والاستبداد غير معروفين عندهم

وخلاصة ماذكرهُ السياح ان شيوع الصدق او الكذب بين قوم متوقف على كونهم عائشين في ظل العدل او تحت لواء الظلم حتّى قال لفنستون " ان الكذب ملجأ الضعيف المظلوم " . وهذا يصدق على اهل الحضارة الراقين مراقي العمران فان شيوع الصدق او الكذب بينهم هو بنسبة شيوع العدل او الظلم والحريّة او الاستبداد . فللظلم والاستبداد اليد الطولى في جعل الناس يجنحون الى الكذب و يعتمدون على الخداع . وللعدل والانصاف اليد الطولى في جعلهم يفضلون الصدق و يتمسكون بهِ . والغالب ان السلم حليف العدل والانصاف والحرب حليفة الظلم والقهر ولذلك يكثر الصدق بين اهل السلم لانتشار العدل

بينهم والكذب بين اهل الحرب لانتشار الظلم بينهم ولكن الصدق والكذب ليسا متعينين لازمتين عن السلم والحرب بل عن العدل والظلم فالصدق ابن العدل والكذب ابن الظلم

مناجم الالماس في افريقية

بقلم اللورد رندلف تشرشل

[اكتُشف الالماس في جنوبي افريقية منذ عشرين عامًا وكبر مناجمه في مكان اسمه كمبرلي وقد زارهُ اللورد رندلف تشرشل منذ عهد قريب وكتب فيهِ فصلاً نشر في جريدة العلم العام فلخصنا منهُ ما يلي]

لا شيء في ظاهر كمبرلي يدل على شهرتها او ثروتها فان مبانيها من الحديد والخشب لا نظام فيها ولا اتساق ولا شيء من الفخامة والتأنق كما يليق بموطن الالماس . فانهُ لما اكتشف الالماس فيها منذ عشرين سنة رحل اليها الوف من الناس دفعةً واحدةً واقاموا فيها كيفما اتفق حاسبين ان كمينهُ محدودة فيستخرجونها كلها حالاً ويرحلون وقد اثروا ثروة وافرة فكان الامر على ضد ما توقعوا لان كمية الالماس غير محدودة والارض التي يستخرج منها كثيرة جدًّا . ثم اتفق اصحاب المناجم على ان لا يستخرجوا منها في السنة الاَّ مقدارًا محدودًا لكي لا يزيد المستخرَج على ما يبتاعهُ الناس فيبقى ثمنهُ على حالهِ . ولذلك قلَّ ورود العمَّال الى هذه المناجم وبقيت المدينة التي بنوها على حالها من السذاجة الاَّ انها لا تخلو من كل لوازم الحياة والرفاهة وفيها نادٍ يجتمع فيهِ كبار القوم وميدان لسباق الجياد وتسلية الخواطر وهذا شأن الانكليز حيثما حلوا

وقد زرتُ اولاً مناجم شركة ده بيرس وهي متحدة مع سائر الشركات ورأس مالها كلها ثمانية ملايين من الجنيهات وتدفع ربحًا للساهمين خمسة ونصفًا في المئة وربحها السنوي يبلغ عشرين في المئة وقد استخرجت منذ سنة ١٨٨٨ الى ١٨٩٠ مليونين وخمس مئة الف قيراط من الالماس باعتها بثلاثة ملايين وخمس مئة الف جنيه . وجملة ما تدفعهُ في السنة ربحًا وربحًا للساهمين مليون وثلث من الجنيهات وعندها مال احتياطي يبلغ مليونًا من الجنيهات وسيتضاعف في العام المقبل

وفي المناجم الف وثلثمئة عامل من الاوربيين وخمسة آلاف وسبع مئة من الوطنيين واجور الاوربيين تختلف من سبعة جنيهات في الاسبوع الى اربعة واجور الوطنيين من